دور محاضن التربية الإسلامية في البنية المجتمعية
دراسة قرآنية مقاصدية

د. باي زكوب عبد العالي
أستاذ القرآن وعلومه المساعد بكليّة العلوم الإسلامية
جامعة المدينة العالمية –ماليزيا

د. ياسر محمد عبد الرحمن طرشاني
أستاذ الفقه وأصوله المشارك بكليّة العلوم الإسلامية
جامعة المدينة العالمية –ماليزيا

د. يوسف محمد عبده محمد العواضي
أستاذ القرآن وعلومه المشارك بكليّة العلوم الإسلامية
جامعة المدينة العالمية –ماليزيا

توطئة:

إنّ للمحاضن التربوية قيمة هامة، وأهمية كبيرة، فعليها تتوقف تنمية الأفراد والمجتمعات وصلاحها ورفاهيتها، ولا سبيل إلى ذلك إلاّ بالعودة بها إلى منهج الله وحده الذي رسمه للبشريّة في كتابه العظيم وسنّة نبيّه الكريم، إلاّ أنّ غياب دور المحاضن التربوية الإسلامية في مواجهات موجة التحديّات المعاصرة جعل من هذا الموضوع أمراً مهمّا للغاية، لذا سعت هذه الدّراسة أوّلاً إلى بيان مفهوم محاضن التربية الإسلامية لغوياً واصطلاحياً، وسعت ثانياً إلى بيان محاضن التربية الإسلامية الأكثر فعالية في مواجهة التحديات المعاصرة من جهة، وأهميّتها في البنية المجتمعية وفي الحفاظ على الهوية الإسلامية من جهة أخرى، وسعت ثالثاً إلى إبراز وسائل تحقيق مقاصد محاضن التربية الإسلامية. وقد تألّف البحث من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وتوصيات، مستعينا بالمنهج الاستقرائي والتحليلي، ومن نتائج البحث: المحاضن التربوية الإسلامية الأكثر فعالية هي: 1- البيت، 2- المدرسة، 3- المسجد، 4- المراكز العلميّة، 5- المنظّمات الاجتماعية، 6- السكنات الطلاّبيّة، أيضاً من النتائج: أن أهمية توظيف المحاضن التربوية الإسلامية ترجع لكونها رافدا مهما في الحفاظ على الهوية الإسلامية وتحقيق البِنية المجتمعية، وتشكيل الشخصية المسلمة الوسطية القائمة على حب الخير للجميع، كما أن المحاضن التربوية لها دور كبير في النضوج العقلي والفكري تبعا لما تتبناه من مفاهيم وأفكار في البناء التربوي، ويجب على المحاضن التربوية الحرص على تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية وخاصة المقاصد الخمس: حفظ الدين ن وحفظ النفس،

وحفظ العقل، وحفظ المال، وحفظ العرض. ومن توصيات البحث: التوعية بأهمية ربط المحاضن التربوية الإسلامية بالبنية والتنمية المجتمعية، إقامة دورات علمية وشرعية للعاملين في المحاضن التربوية، العمل على ربط التربية بالواقع والظروف المحيطة، العمل على غرس مفاهيم الوسطية ونبذ جميع أشكال العصبية والكراهية وتجنب أسبابها.

مقدمة:

إنّ الهدف الأسمى للتربية الإسلامية عند المسلمين يكمن في تحقيق العبودية لله، وحفظ الإنسان ورعايته والعناية به، وحفظ عقيدته، وتزكية قلبه، وتطهير روحه وعقله، وحفظ ماله وعرضه، وتقوية الروابط الإنسانية، وإقامتها على أساس متين من الحبّ والرّحمة والأخوّة والمساواة والعدل.

لم يكن هدف المسلمين الأوائل من التربية دنيوياً محضاً، ولا دينياً محضاً، وإنما كان دينياً ودنيوياً معاً، فكانت الدّنيا عندهم بمثابة مزرعة الآخرة، وفي القرآن الكريم ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[القصص: 77]، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: 201]، ولهذا اشتمل الفقه الإسلاميّ على العبادات، والمعاملات، و الأنكحة، والمواريث، والأقضية، والدعاوى، والحدود، والقصاص، و التعازير، والجهاد، والمعاهدات، والحلال والحرام، والآداب، وغير ذلك مما يدلّ على شموليّة الإسلام وكماله، يقول المفكر النّمسوي المسلم محمد أسد: "نحن نعدّ الإسلام أسمى من سائر النّظم المدنية، لأنه يشمل الحياة كلّها[1]".

إنّ التربية الإسلامية النّاجحة هي التربية التي لا تتنازل عن ثوابت الأمّة الإسلامية مهما يكن من أمر، لأنّ ثوابت الأمّة الإسلامية فوق كل اعتبار، وعليها تقوم شخصية الفرد المسلم وكيان المجتمع الإسلامي، والتلاعب بهذه الثوابت يعني التلاعب بمصير أمّة آمنت بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبسيّدنا محمّدٍ ﷺ نبيّاً ورسولاً طيلة أربعة عشر قرناً. والثّوابت هي التي "تتمثّل في العقيدة، والعبادة، والحدود، والأحوال الشخصيّة، والمتغيّرات تتمثّل في التّعازير، والنّظامين السّياسي والإداري، والأحكام المبنيّة على العرف والعادات والمصلحة، ويخطئ من يقوم بنقل أشياء من دائرة الثوابت ويضعها في

المتغيّرات، كما يخطئ ذات الخطأ من يفعل العكس[2]". هذه جملة من الثوابت الإسلامية التي ينبغي لأيّ مربٍ إسلامي أن يراعيها ويقف عند حدودها، والتي لا يجوز له أن يتعدّاها أو يتغافل عنها لمجرّد ادّعاء كاذب، أو مساومة محتملة، وله في الوقت عينه أن يجتهد ببذل الوسع واستفراغ الطاقة في دائرة المتغيّرات إذا كان أهلاً لذلك، أما إذا انحرفت التربية عن الجادّة، فلا يجوز لنا تحميل الإسلام تبعاته.

1.المبحث الأوّل: مفهوم محاضن التربية الإسلامية

أ- **ففي اللّغة**: عند تفكيك عبارة "محاضن التربية الإسلامية" نجد أنها تتكوّن من ثلاث مفردات "المحاضن"، "التربية" و"الإسلامية"، وسنحلّلها الآن على حدة:

- **فالمحضن** أصله من حضن، وهو: حفظ الشيء وصيانته، فالحضن ما دون الإبط إلى الكشح، يقال احتضنت الشيء جعلته في حضني[3]،و(حضن) الطائر بيضه من باب نصر ودخل إذا ضمه إلى نفسه تحت جناحه، و(حضنت) المرأة ولدها (حضانة). و(حاضنة) الصبي التي تقوم عليه في تربيته. و(احتضن) الشيء جعله في حضنه[4].

- **والتربية** تعود إلى ثلاثة أصول لغوية هي:

1- ربا: ربا الشيء، يربو ربوا ورباء: زاد ونما. وأربيته: نميته، وربأت الأرض رباءً: زكت وارتفعت[5].

2- ربّى يربّي، وربّ ولده والصبي يربه ربا، وربيه تربيبا وتربة، عن اللّحياني: بمعنى رباه. وفي الحديث: لك نعمة تربها أي: تحفظها وتراعيها وتربيها، كما يربي الرجل ولده، ورباه تربية: أحسن القيام عليه، ووليه حتى يفارق الطفولية[6]، والولد: ثقّفه وهذّبه وأدّبه[7].

3- ربّ يربُّ على وزن مدَّ يمُدُّ بمعنى متّنه، وأصلحه، ووليّه، وتعهّده، ورأسه وساسه[8] .

- **أمّا "الإسلامية"** فهي كلمة تنسب إلى الإسلام، والإسلام هو: الانقياد، والإسلام من الشريعة: إظهار الخضوع وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم[9] .

ب- أمّا في الاصطلاح: فعند تفكيك عبارة " محاضن التربية الإسلامية" نجد أنها تتكوّن من مصطلحين أساسيين هما: "المحاضن "و "التربية الإسلامية"، وسنعرّفهما كالآتي:

- فالمحضن هو: "الموقع والموضع الذي ينال فيه الفرد الحفظ والعناية، والتربية والرعاية".

- أمّا التربية الإسلامية فهي: "ربط القلوب بالله، وربط موازين القيم والأخلاق بميزان الله، وإخراج البشريّة كلّها من حميّة الجاهليّة، ونعرة العصبيّة، وضغط المشاعر والانفعالات الشّخصيّة والعائليّة والعشائرية في مجال التّعامل مع الأصدقاء والأعداء"[10]، ويرى الباحث أنّ التربية الإسلامية هي: تحقيق العبودية لله، وحفظ الإنسان ورعايته والعناية به، وتتبّع حركاته وسكناته منذ الصّغر، وتنشئته جسديّاً، وروحيّاً، ونفسيّاً، وعقليّاً، وخلقيّاً وفق منهج ربّانيّ متكامل وشامل لجميع نواحي الحياة، ووسائل ربّانيّة يقرّرها هذا المنهج، حتى يرتقي الإنسان إلى كماله المطلوب، وهذا المنهج يلتمس من مصادره، وهي: الكتاب والسّنة الصّحيحة، وتجارب واجتهادات السّلف والخلف جميعاً بعد التأكّد من عدم معارضتها للكتاب والسنّة، وواقع المعاش.

إذن يعنى بـ: "محاضن التربية الإسلامية" وفقاً لهذا التحليل اللّغوي والاصطلاحي: المواقع والمواضع الذي ينال فيه الفرد الحفظ والعناية، والتربية والرعاية، والإعداد والتهيئة للقيام بمتطلبات التكوين، ومقتضيات الوجود، ومقومات الاستخلاف[11]، في ضوء فهمهم لنصوص القرآن والسنّة التي تحدّد طبيعة الإنسان، وتحدّد القيم الرّفيعة التي ينبغي أن يحقّقها المجتمع المسلم والمعايير الخلقيّة التي تحكم سلوك أفراده، وتضع الإطار العام لما ينبغي وما لا ينبغي فعله للوصول إلى هذه الغايات والتي ينبني عليها أيضاً المجتمع المسلم كلّه بمؤسّاسته[12].

المبحث الثاني: محاضن التربيّة الإسلاميّة الفاعلة

إنّ الحديث عن محاضن التربية الإسلامية حديث ذو شجون، لأنّ المحاضن كثيرة ومتعدّدة، تختلف باختلاف الزمان والمكان والحال، ولا يدركها إلاّ من عاشها ومارسها، فمن المهمّ بمكان أن نحاول التركيز على أهمّ المحاضن فعاليّة في البنية المجتمعية والتنمية الاجتماعية:

1- البيت: للأسرة تأثير كبير في تنشئة الأجيال، وتربيتهم تربية صالحة، وتوجيههم وجهة صحيحة، وتعليمهم العلوم النّافعة وغرس فضائل الأخلاق في أنفسهم، مما يؤدي بهم في الأخير إلى إحداث نهضة أخلاقية وعلمية وصناعية في مجتمعاتهم، والحقّ أنّ هذا

يعتمد على نوعيّة المعدن الذي ينتمي إليه الأبوين، فإن كانا من معدن صالح كان الأبناء في العام الأغلب صالحين، وإن كانا من معدن فاسد كان الأولاد في العام الأغلب طالحين، وتأكيداً لهذا المعنى يقول النبي ﷺ عن أبي هريرة: **"مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء"**، ثم يقول أبو هريرة: (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) [الروم: 30] [13]، وقوله ﷺ أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه: "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل[14]".

وقد عقّب الأستاذ الرّاشد على ظاهرة الفطرة ومحاكاة الطفل لأبويه بقوله: "إنّ من الحقائق السّارية التي ظهرت منذ بداية الحياة الاجتماعية الإنسانية ويغفل عنها البعض أنّ التّلقيد والمحاكاة من صفات الإنسان الاجتماعي، وأنّه قابل للتأثر بغيره تأثّراً لا يشعر به، حتى إذا بلغ التأثر حدّاً في الكثافة كبيراً تحوّل إلى عقيدة وفكرة ومفهوم ثابت ينقل المتأثر إلى مرحلة تمحيص عقلي لما عند الغير، فيزداد أخذاً لما يوافق عقيدته المتكوّنة، ويرفض ويعاف ما يضادها، إنّ (السّمع) و(البصر) هما الأداتان الرئيستان اللّتان يتمّ بهما هذا التأثير اللّاشُعُوري، فالشّخص يسمع شيئاً، ويتكرّر لديه هذا السّماع، فينشغل في التفكير بما سمع، حتى يأخذ عليه تفكيره وقتاً يزداد كلّما زاد السّماع، وعن طريق دوام التفكير بما سمعه تتحول الأفكار المسموعة إلى عقائد ذاتية عند الشخص يعتنقها ويحملها، وغالباً ما يصل هذا الاعتناق إلى التعبير عنها بنفس الاصطلاحات والكلمات التي سمعها"[15]، وعن الأثر الذي يفرزه التأثير اللّاشعوري لدى الطفل يقول أيضاً: "إنّ التأثير اللّاشعوري العفوي يسبق التأثر الشّعوري الإرادي عند الشّخص ويظلّ ملازماً له حتى عند ظهور إمكانية التأثّر الإرادي عنده، ذلك أنّ الأوّل يبدأ منذ الطّفولة، بينما الثاني، وهو الإرادي المبني على نتائج محاكمات عقليّة عند الشخص، لا يكون إلاّ من بعد حيازته بعض الأفكار التي يجعلها أساساً لوزن ما يسمع وما يرى بها، ويكون قد حازها بتأثر لا شعوري سابق[16]، نستشفّ من هذا الاقتباس أنّ الطّفل يقلّد الأبوين بما يقومان به من تصرّفات، فحين يسود العنف والكراهية والكذب والغضب في العلاقات بين الزوجين، ينعكس ذلك التصرّف مباشرة على سلوك الأطفال، فيصبحون ميّالين إلى ذلك

التصرّف، ظانّين أنه التصرّف الصّحيح، مادام الأبوان يكرّران نفس التصرّف، ويَشِبُّ الأبناء على هذا التصرّف المذموم لا شعوريّاً، ويصبح ألصق بهم من أسمائهم، ولا يستطيعون حينئذ إنقاذ أنفسهم من براثن السلوك الخطأ. وتفادياً لهذه الرّزايا التي قد تحصل لا محالة إذا فسدت البداية الأسرية، فإنّ الإسلام قد حثّ كلاًّ من الرّجل والمرأة على اختيار الشّريك الصّالح، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قد حث الرّجل على اختيار الزوجة الصّالحة فقال: "تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها.

ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك[17]"، وفي الوقت عينه عن الرّاوي نفسه قد حث النبيّ ﷺ المرأة على اختيار الزوج الصالح فقال: " إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض[18]"،وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "تخيّروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم[19]"،إذن فصلاح الأبناء وفسادهم متوقّف على صلاح الأولياء وفسادهم.

2- المدرسة:

تعتبر المدرسة مكمّلة للتربية الأسرية في تعليم النّاشئة بعض الصفات الحسنة، وهنا لابدّ أن يتم التعاون بين الاثنين، لإنشاء أجيال قوية تربط بين العلم والتربية، وتقرن الأقوال بالأفعال من أجل حياة أفضل، و لا يخفى علينا أنّ الطفل يسجّل كل تصرّفات المعلّم القبيحة والحسنة في حافظته، لأجل ذلك ينبغي على المنظومات التربويّة أن تحسن اختيار المعلّمين، وأن تمتحن قدرتهم على العطاء الجيّد في التعليم قبل أن توظّفهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يجب على القائمين على المنظومات التربويّة في البلاد الإسلاميّة أن يوفّروا كلّ وسائل التّعليم العصريّة التي تساعد على التّزايد المستمرّ في نموّ الطّفل نموّاً صالحاً، إذن لابدّ من إيجاد تلاقح بين المعلّمين الأكفاء، ووسائل التّعليم التي تناسب العصر، من أجل نهضة تربويّة شاملة ناجحة تسهم في تحقيق سلام كوني يسعد في كنفه النّاس كافّة من دون أيّ استثناء.

3- المسجد:

إنَّ أوّل عمل قام به الرّسول ﷺ لما وصل المدينة المنوّرة، كان بناء المسجد، وهذا الأمر لم يكن مجرّد صدفة من قِبَلِ رسول الله ﷺ، وإنّما لأجل بيان أنّه لا مستقبل لكيان إسلاميّ بدون تفعيل دور المسجد في البناء والعطاء. كما لا يمكن

ألبته أن نحصر دور المسجد على أداء الصّلوات الخمس فحسب، بل إنّ دور المسجد في الأمّة الإسلاميّة أعمق من ذلك بكثير، وأهمّ دورٍ للمسجد هو الحفاظ على إيمان المسلمين، وهذا هو الأساس الرّئيس الذي اجتهد النبيّ ﷺ أن يغرسه في نفوس أصحابه في مكّة والمدينة، والدّور الذي يتلوه هو تربية النّفس على تقوى الله وخشيته، ثم تعلّم أحكام الدّين وكل أمور الحياة، وعلى العموم فإنّ التربية المسجديّة تحفظ على المسلمين أمر دينهم، ولو أردنا أن نلقي نظرة على دور المساجد في عصر النبيّ ﷺ وعصور السّلف، لألفيناها تؤدّي أدواراً كثيرة نذكر منها:

- الإسهام في تعليم الحلال والحرام وكل أمور الحياة.
- الإسهام في تربية الأطفال.
- الإسهام في تعليم الفروسية.
- الإسهام في إيواء الفقراء والمساكين وعابري السبيل.
- الإسهام في توثيق روابط التواصل الاجتماعي.
- الإسهام في علاج المرضى.
- الإسهام في إصدار قرارات الأمّة الإسلاميّة ونحو ذلك.

وبهذا الدّور الشّامل الذي كان يؤدّيه المسجد في العصور الأولى، انطلقت الأمّة الإسلاميّة فبنت للعالم مجداً حضارياً بقيت الإنسانية تتمتع به طوال قرون عديدة وإلى الآن، وفي كلمة واحدة: إنّ لكلّ أمّة مصانعها، ومصانع الأمّة الإسلامية مساجدها التي خرّجت لنا رجالاً من أمثال: الصّحابة رضوان الله عليهم، الأئمة الأربعة، العزّ بن عبد السلام، ابن حزم الظاهري، ابن سينا، الفارابي، ابن عبد البر المالكي، أبو حامد الغزالي، محيي الدّين النووي، عبد الرحمن بن الجوزي، ابن تيميّة، ابن القيّم، ابن حجر، صلاح الدّين الأيوبي، نور الدّين محمود، عبد الرّحمن الدّاخل، عبد الرّحمن النّاصر، يوسف

بن تاشفين، حسن البنا، ابن باديس، البشير الإبراهيمي، محمّد الغزالي، سيّد قطب، يوسف القرضاوي وغيرهم كثير.

فمن يعطّل المسجد عن أداء دوره في المجتمع، وتبليغ رسالته على النّحو الذي كان عليه مسجد رسول الله ﷺ، ومساجد السّلف عليهم الرّضوان، فإنّه ممّن سعى لخرابه، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:114].

بهذا الانحاد الثلاثي بين البيت، والمدرسة، والمسجد، يمكن أن نضمن إحداث تربية راشدة ناضجة، يقول محمّد الغزالي: "إنّ التربية الرّاشدة النّاضجة هي الضّمان الأوّل لكل نهضة، والبيت هو المدرسة الأولى لتلك التربية، وعندما تكون المرأة صفر العقل والقلب، لا ثقافة في مدرسة، ولا عبادة في مسجد، فمن اين تحقق التربية المنشودة؟! إنّه لا مجتمع يصلح عندما تكون المرأة حيواناً يحسن تقديم الأكل والمتعة.. وحسب[20]".

4- المراكز العلميّة:

إن المراكز العلمية تلعب دوراً أساسياً في تنمية العملية التربوية، وهي شاملة لمراكز تعليم اللّغة العربية، ومراكز تعليم القرآن، ومراكز تعليم العلوم الشرعية، وبتكاثف جهود هذه المراكز الثلاثة الرسمية وغير الرسمية يمكن إحداث تغيير تربوي اجتماعي على المدى القصير، ويمكن حصره في ثلاثة أبعاد رئيسية:

1. إنّ تعلم اللغة العربية يسهم في تنمية الذكاء المعرفي.
2. إنّ تعلم القرآن يسهم في عملية تهذيب النفس والقرب إلى الله.
3. إنّ تعلم العلوم الشرعية يسهم في الحفاظ على الالتزام الصحيح بالإسلام.

وباتحّاد هذه الأبعاد الثلاثة، فإننا سنحمي هوية المجتمعات الإسلامية وقيمها وعاداتها، ونحافظ على إسلامها وقرآنها ولغتهتما.

وعلى الرغم من التقدم الكبير الذي أحرزته المراكز العلمية في ميدان تربية وتعليم الشباب والرفع من مستواه التربوي العلمي، إلاّ أنها ما زالت تعاني من معوّقات كثيرة تحدّ من أداء أدوارها الفعالة بجديّة وإتقان، ومن أهم تلك المعوقات، ما يأتي:

- انعدام الكفاية الماديّة.
- انعدام الكفاية البشرية العاملة.
- انعدام استخدام التكنولوجيا التربوية الحديثة.
- انعدام التنسيق بين مختلف المراكز الرسمية وغير الرسمية.

هذا ويرجو الباحث أن تتكاثف جهود المراكز العلمية الرسمية وغير الرسمية لأداء أدوراها الفعالة في البنية المجتمعية والتنمية الاجتماعية والتقدم بالمجتمع نحو حياة أسعد ومستقبل أزهر.

5- المنظّمات الاجتماعية:

إن المنظّمات الاجتماعية لا تقلّ أهمية عن المراكز العلمية على أداء دورها الفاعل في التربية، وهي شاملة للحركات الكشفية والجمعيات الخيرية وغير ذلك. ويكتفي الباحث بالحديث هنا عن الحركة الكشفية.

إنّ الحركة الكشفية حركة تربوية هادفة تعنى بالأجيال وترشدها إلى الطريق السّليم وتصونها من الانحراف وتهيئها لمستقبل أفضل وحياة أسعد، وكما نصّ دستورها، فهي: "حركة تربوية للفتية والشباب ذات طابع تطوعي لا سياسي، مفتوحة للجميع دون تفرقة في الأصل أو الجنس أو العقيدة - وذلك وفقا للهدف والمبادئ التي ابتكرها مؤسسة الحركة _ وتهدف إلي المساهمة في تنمية الشباب لتحقيق أقصى نمو لقدراتهم البدنية والعقلية والاجتماعية والروحية كأفراد وكمواطنين مسئولين وكأعضاء في مجتمعاتهم المحلية والقومية والعالمية"[21]، وقد عرّفها جمال الدّهشان بناء على ما نصّه دستورها، بأنها: "الجهود والأنشطة والممارسات الكشفية التي تتم لتنمية الأفراد تنمية شاملة متكاملة متوازنة لجميع جوانب شخصياتهم الروحية والبدنية والفكرية والاجتماعية، لتجعل منهم أعضاء إيجابيين قادرين علي تطوير أنفسهم ومجتمعهم، والتوافق مع المتغيرات والظروف العصرية السائدة في مجتمعهم، وذلك وفق أهداف ومبادئ وطرائق

الحركة الكشفية التي حددها دستورها العام"[22]، وعرّفها آخر بأنها: "حركة شبابية تربوية تطوعية اختيارية، أساسها التربية والتعليم عن طريق العمل والممارسة لأوجه عديدة من الأنشطة المرغوبة والمثيرة والمشوقة، والتي تتناسب مع خصائص المراحل العمرية لأعضائها، بغية المساهمة في تنمية الشباب لتحقيق أقصى نمو لقدراتهم البدنية والعقلية والاجتماعية والروحية كأفراد وكمواطنين مسئولين، وكأعضاء في مجتمعاتهم المحلية والقومية والعالمية، وهي حركة عالمية تسعى إلي بث الأخوة والصداقة الإنسانية بين أعضائها دون التفرقة بينهم بسبب الجنس والعقيدة أو الأصل، وبعيدة عن الأحزاب والتكتلات السياسية"[23].

وعلى ضوء ما قلناه، فالحركة الكشفية تعتبر محضن من محاضن التربية الإسلامية التي لا تقلّ أهمية عن بقية محاضن التربية الإسلامية الأخرى، حيث تتكامل في مراميها وتطبيقاتها مع مرامي وتطبيقات محاضن التربية الأخرى في المجتمع سواء كانت رسمية أم غير رسمية، فجميعها يسعى إلي تربية الفرد تربية متكاملة شاملة للجانب الجسدي، والروحي، والنفسي، والعقلي، والخلقي. بلإنّ البعض يرى أن التربية الكشفية –بعد تراجع التربية المسجدية وانحصارها داخل المسجد- تزداد أهمية عن محاضن التربية الأخرى لعدة أسباب لعلّ من أهمها الآتي[24]:

1. تهتم بتنشئة أعداد كبيرة من أبناء المجتمع تنشئة تربوية متكاملة منذ سن مبكرة.
2. تتناسب أنشطتها وبرامجها مع خصائص المراحل العمرية لأعضائها، (الأشبال - الكشاف - الكشاف المتقدم - الجوال)، وهي تتسم -أي: برامجها وأنشطتها- بالتنوّع والمرونة.
3. تعتمد في الانتساب إليها على الرغبة المطلقة والدافعية الذاتية لمن يرغبون في الانتماء إليها.
4. تعتمد في مبادئها علي عدة محاور أساسية ترتبط ارتباطاً مباشراً باحتياجات التنشئة الأساسية للفرد سواء فيما يتعلق بالحاجة إلي الإيمان، والانتماء لعقيدة معينة ولوطن معين، ولأمة معينة، وللإنسانية جمعاء.

5. تعتمد في أساليبها -بصفة أساسية- على النواحي التطبيقية، فهي تربية استكشافية بالدرجة الأولى.
6. تتم أغلب أنشطتها وبرامجها في الخلاء وبين أحضان الطبيعة.

إذن، قد اتضح مما سبق أن الحركة الكشفية محضن تربوي تتفق أهدافه وتتناغم بدرجة كبيرة مع الأهداف ومحاضن التربية الأخرى، إلاّ أنّه يلاحظ في بعض الحركات الكشفية في الوطن الإسلامي ما زالت إلى الآن لا تتخذ من الإسلام منهاجا في برامجها وأنشطتها المتنوعة، وهذا ما يجعلها في كثير من الأحيان لا تسد الرّغبات والحاجات الروحية، والنفسية، والعقلية، والخلقية للمجتمع المسلم. ولذا نهيب بهذه الحركات الكشفية الغيورة على مجتمعها وانتمائها ووطنيتها أن تحذر وتحذّر غيرها في ابتغاء غير الإسلام منهجاً على أداء برامجها وأنشطتها المتنوعة.

6- السكنات الطلاّبيّة:

السكنات الطلابية سواء كانت بنايات داخل الجامعات أو بنايات مستقلة، فهي تمثل مأوى الطلاب الوافدين من داخل القطر الواحد أو خارجه من الأقطار الأخرى، ولاحظ الباحث وجود فجوة مقلقة بين السكنات الطلابية والبرامج والنشاطات التربوية، وهذا ما يجعل حدوث نكسة أخلاقية في بعض السكنات الطلابية لعدم وجود برامج تربوية تهتم برعاية وتربية الطلاب. ويدعو الباحث إلى الآتي:

- تحسين الظروف السكنية للطلاب، وتوفير مكان مناسب للإقامة على أعلى مستوى.
- تجهيز المختبرات العلمية.
- توفير الخدمات العامة كالمطاعم، والبنوك، والملاعب الرياضية، والمراكز الصّحّيّة، وسيارة إسعاف، والنقل العمومي، ومقاهي انترنيت.
- توفير مكتبات ضخمة تحتوى على كتب علمية ودراسية في جميع التخصصات لمساعدة الطلاب على تنمية الفكر والاستيعاب الدراسي والبحث العلمي، وتوفير مكاتب دراسية للطلاب داخل المكتبات، وتوفير مصلى داخل المكتبة لأداء الصلوات، وفتح المكتبات يوميا من الصباح إلى الليل وخصوصا في العطل

الدراسية، وهذا كله لأجل توفير الراحة الكاملة للطلاب وتهيئة الجوى المناسب لهم للمذاكرة.

- إقامة الندوات الدينية والثقافية والعلمية بصفة مستمرة لتثقيف الطلاب على مستوى تخصصاتهم والتخصصات الأخرى.
- رعاية الطلاب دينياً عن طريق توفير مسجد كبير يصلى فيه الخمس ويخطب فيه الجمع، وتوفير مصلى بكل وحدة من الوحدات السكنية لأداء الصلوات الخمس.
- تنظيم رحلات ترفيهية، وتعليمية تربوية.
- استغلال العطل الدراسية وأوقات فراغ الطلاب لتوجيههم إلى ممارسة مختلف الأنشطة التي تعود عليهم بالفائدة.
- إتاحة الفرصة للطلاب للتعارف مع طلاب من كليات أخرى ومجتمعات مختلفة حتى تتلاقح الأفكار وتنمو روح الأخوة الإسلامية.
- تأسيس منظمات تهتم بشؤون الطلاب.
- فتح المجال أمام الطلاب لتنظيم الأنشطة والبرامج المتنوعة وتوجيهها بما يتفق وروح الإسلام.

وللأمانة، فإني قد عايشنا غالب هذه التسهيلات في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وأرجو نقل تجربة هذه الجامعة إلى جامعات الدول الإسلامية الأخرى كالجزائر، والمغرب، وتونس، وليبيا، وسوريا، والعراق، ومصر، واليمن وغيرها من الدول الإسلامية.

في نهاية هذا البحث، نأمل أن تسهم المحاضن التربوية في:

- إعداد طبقات هائلة من الصحفيين الذين يجمعون بين الحرفية الإبداعية وتقوى الله.
- بناء أجيال قادرة على مواجهة تحديات الغزو الفكري.
- نشر الدعوة الإسلامية.
- نشر التربية الإسلامية وتعميمها على الكبير والصغير.

- نشر تعاليم الإسلام الصحيحة، ونبذ البدع والخرافات.
- ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة، وترك ما يضادّها.
- إبراز أهمية التراث الإسلامي.
- نشر اللغة العربية.
- الإسهام في تعليم القرآن الكريم حفظا وتلاوة وسلوكاً.
- إبراز الصورة الحقيقية للحضارة الإسلامية.
- مواجهة الهجمات الشرسة التي تشنها بعض الأجهزة الإعلامية على الإسلام.
- تصحيح الصور الخاطئة عن الإسلام.
- توعية المسلمين عما يحدث للمسلمين في الدول الجوار.
- توعية المسلمين بثقافة العصر صحيحها وسقيمها.
- توعية المسلمين عام يحاك للإسلام والمسلمين.
- تحذير المسلمين من الشبهات التي تثار حول الإسلام.
- إعادة الثقة بعلماء المسلمين ومخلفاتهم المكتوبة والمسموعة.
- المحافظة على الهوية الإسلامية.
- التمسك بالذوق الإسلامي النابع من صميم الإسلام، وترك الذوق الغربي النابع من الفلسفة الإلحادية والروح المادية المجردة.
- إعطاء البديل الإسلامي الصّحيح عما يقدمه الإعلام الغربي من تصورات خاطئة عن الكون، والإنسان، والحياة، والإله، والحضارة، وطريقة الحياة.
- تقديم بديل إسلامي جيد يضاهي ما تنتجه العقول الغربية في مجال السينما، والمسرح، والرياضة، وغيرها من الفنون المعاصرة التي لا تتعارض وقيمنا ودیننا وعاداتنا.

3المبحث الثالث: وسائل تحقيق مقاصد محاضن التربية الإسلامية

- لا بد لمحاضن التربية الإسلامية أن تحقق المقصود الشرعي من تواجدها، وتحافظ على الكليات الخمس الكبرى من حفظ الدين، والنفس، والمال،

والعقل، والعرض، فقد وجدت هذه المحاضن من أجل التربية الإسلامية فلا يعقل أن تقوم بوسائل تتناقض مع مقصود الشارع.

- من وسائل تحقيق مقصد حفظ الدين: أن يتم التأصيل الشرعي للعلوم المختلفة، وعدم طرح أفكار تتناقض مع عقيدة الإسلام، كما يجب الحث على التمسك بأخلاق الإسلام، وتوعية النشء بأركان الإسلام والإيمان، وتوضيح المفاهيم الخاطئة التي يجب علي المسلم تجنبها، وتشجيع الأبناء على حفظ القرآن الكريم بقدر استطاعتهم وجودة القراءة.
- من وسائل تحقيق مقصد حفظ النفس: توعية الأبناء بأهمية الالتزام بالتغذية الصحية والرياضة اليومية، وتجنب الأطعمة الفاسدة والمضرة، كما يجب تعليمهم أهمية الالتزام بالقواعد والآداب العامة لحفاظ على أنفسهم وأنفس الآخرين، والعلاج عند شعورهم بالمرض، كذلك الامتناع عن العادات السيئة التي تضر بالصحة كالاقتراب من الأجهزة الاليكترونية أو النوم والجلوس بطريقة خاطئة.
- من وسائل تحقيق مقصد حفظ المال: تعوديهم على البيع والشراء ومشاركتهم في كيفية تنظيم ميزانية الأسرة وتوزيع الأدوار بينهم، ومعرفة ترتيب الأولويات، وعدم البخل وفي نفس التوقيت عدم الإسراف، وكذلك إعطائهم المصروف اليومي بقدر جهدهم وتفوقهم وتوعيتهم بكيفية التصرف فيه.
- من وسائل تحقيق مقصد حفظ العقل: توعيتهم بأهمية التعلم، والاجتهاد في الدراسة، والتثبت من المعلومات وعدم تصديق الشائعات أو نشرها، وكذلك مشاهدة البرامج النافعة، وتنظيم أوقاتهم، كذلك تجنبهم رؤية البرامج التي تفسد عقولهم وتضعفها.
- من وسائل تحقيق مقصد حفظ العرض: تعليمهم أهمية عدم الاختلاط وغض البصر، وعدم إيذاء الجنس الآخر، واحترام الآخرين، مع الامتناع عن الغيبة والنميمة واتهام الآخرين بغير وجه حق، كذلك الامتناع عن سب وشتم الآخرين وعدم الكذب عليهم، وتجنب السخرية والاحتقار حفاظ على كرامة الآخرين.

وهذه الوسائل مهمة لكي تحقق المحاضن التربوية المقصد منها في الحفاظ على مقاصد الشريعة الإسلامية.

خاتمة:

هذا وقد توصّلنا في هذا البحث إلى النتائج الآتية:

- محاضن التربية الإسلامية هي: المواقع والمواضع الذي ينال فيها الفرد الحفظ والعناية، والتربية والرعاية، والإعداد والتهيئة للقيام بمتطلبات التكوين، ومقتضيات الوجود، ومقومات الاستخلاف، في ضوء فهمهم لنصوص القرآن والسنّة التي تحدّد طبيعة الإنسان، وتحدّد القيم الرّفيعة التي ينبغي أن يحقّقها المجتمع المسلم والمعايير الخلقيّة التي تحكم سلوك أفراده، وتضع الإطار العام لما ينبغي وما لا ينبغي فعله للوصول إلى هذه الغايات والتي ينبني عليها أيضاً المجتمع المسلم كلّه بمؤسّاسته.
- التربية الإسلامية هي: تحقيق العبودية لله، وحفظ الإنسان ورعايته والعناية به، وتتبّع حركاته وسكناته منذ الصّغر، وتنشئته جسديّاً، وروحيّاً، ونفسيّاً، وعقليّاً، وخلقيّاً وفق منهج ربّانيّ متكامل وشامل لجميع نواحي الحياة، ووسائل ربّانيّة يقرّرها هذا المنهج، حتى يرتقي الإنسان إلى كماله المطلوب، وهذا المنهج يلتمس من مصادره، وهي: الكتاب والسّنة الصّحيحة، وتجارب واجتهادات السّلف والخلف جميعاً بعد التأكّد من عدم معارضتها للكتاب والسنّة، وواقع المعاش.
- إنّ أهمّ محاضن التربية الإسلامية فعاليّة لمواجهة التحديات المعاصرة هي: 1- البيت، 2- المسجد، 3- المدرسة، 4- المراكز العلمية، 5- المنظمات الاجتماعية، 6- السكنات الطلابية.
- إن دور محاضن التربية الإسلامية للبنية المجتمعية في غاية الأهمية لأنها تساعد على تشكيل الشخصية المسلمة الوسطية -القائمة على حب الخير للجميع ونبذ العصبية والكراهية بجميع أشكالها، وتسهم في النضوج العقلي والفكري تبعا لما

تتبناه من مفاهيم وأفكار في البناء التربوي، وهي تمثل رافدا من روافد التنمية البشرية وذلك لما تقوم به من جهد كبير في هذا المجال.

- تعتبر المحاضن التربوية الإسلامية من أهم وسائل الحفاظ على الهوية الإسلامية وتحقيق البِنية المجتمعية.
- الحرص على تحقيق مقاصد المحاضن التربوية، وخاصة الضروريات الخمس الكبرى، وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ المال، وحفظ العرض.

التوصيات:

يوصي البحث بالتوصيات الآتية:

- التوعية بأهمية ربط المحاضن التربوية الإسلامية بالبنية المجتمعية والتنمية الاجتماعية.
- إقامة دورات علمية وشرعية للعاملين في المحاضن التربوية.
- نشر تعاليم الإسلام الصّحيحة، ونبذ البدع والخرافات.
- إبراز أهمية الأدوار التي تؤديها المحاضن التربوية للحفاظ على الهوية الإسلامية.
- إبراز الصورة الحقيقية للحضارة الإسلامية.
- قراءة السيرة النبوية وسيرة السلف الصالح لاستصحاب أدوار المحاضن التربوية في التربية الاجتماعية.
- مواجهة سموم التحديات المعاصرة كافة.
- العمل على ربط التربية بالواقع والظروف المحيطة.
- العمل على غرس مفاهيم القرآن الوسطية ونبذ جميع أشكال العصبية والكراهية وتجنب أسبابها، وجعلها ثقافة سائدة وإدراجها في المناهج الدراسية في المدارس والمراكز والجامعات.
- التوعية بضرورة إدخال برنامج تعلّم القرآن الكريم وتعليمه في كافة محاضن التربية الإسلامية نظراً لأهميته الكبرى في تعزيز أخلاق المجتمع والالتزام الديني.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى و آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

مراجع:

1. محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة: عمر فروخ، (بيروت: دار العلم للملايين، ديسمبر 1987م)، ص 110.
2. نعمان عبد الرزاق السامرّائي، الثوابت والمتغيّرات، (السّعودية: دار أمية، ط1، 1992م)، ص38، 39.
3. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، (مصر: مطبعة البابي الحلبي، ط1، 1400ه)، مادة "حضن"، ج2، 73-74.
4. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، (بيروت: مكتبة لبنان، ط2، 1986م)، ج1، 75.
5. انظر: ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصاوي العبيدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3)، ج5، ص94-126.
6. انظر: المرجع السّابق، ج5، ص96.
7. انظر: جبران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، (بيروت: دار العلم للملايين، ط5، 1987م)، ج1، ص712.
8. إبراهيم مدكور، المعجم الوسيط، (مصر: مجمع اللغة العربية)، ج1، ص333.
9. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص293.
10. انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، (القاهرة: دار الشروق، ط11، 1985م)، سورة المائدة، ج2، ص839.
11. http://www.alukah.net/social/0/100743/#ixzz4ph29uxqK[1]
12. عبد الحليم سيّد، التربية في القرآن والسنّة: الغايات والأهداف، (القاهرة: عالم الكتب، ط1، 1996م)، ص 17.
13. مسلم، أبو الحسن ، الصّحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، حـ 6252، ج4، ص 213.
14. ابن ماجه، أبو عبد الله، السنن، (القاهرة: دار الحديث. 1998م)، ج4، ص316، رقم2378.
15. الراشد، محمد أحمد، منهجية التربية الدعوية، (كندا: دار المحراب للنشر والتوزيع ط3، 2003م)، ص13-14.
16. الراشد، منهجية التربية الدعوية، ص 14-15.

17. البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2002م)، حـ 5090، ج3، ص 368.
18. ابن ماجه، السنن، حـ 1967، ج2، ص 197.
19. المرجع السّابق، حـ 1968، ج2، ص 197.
20. محمّد الغزالي، الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية، (مصر: نهضة مصر، 2005م)، ص 15.
21. المكتب الكشفي العالمي: الدستور والقوانين الداخلية المتبعة في المنظمة العالمية للحركة الكشفية - ترجم بمعرفة الإقليم العربي (بدون تاريخ)، ص 1-4.
22. جمال علي الدهشان، دور التربية الكشفية فى التنمية الشاملة للمجتمع، بحث مقدم إلى مؤتمر تحديات التنمية في ضوء المتغيرات العالمية الراهنة " نحو صيغة ملائمة للتنمية في مصر" – كلية الآداب – جامعة المنوفية – ابريل 1993 .، ديسمبر 2013.
23. عبد السلام الحسيني أحمد الكاشف: الدور التربوي للحركة الكشفية- رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة المنوفية - 1988، ص 5.
24. بتصرف، انظر: همام بدراوي زيدان، دور التربية الكشفية لتعزيز الأصالة العربية الإسلامية في ضوء تحديات العصر، المنظمة الكشفية العربية - الأمانة العامة - القاهرة - بدون تاريخ، ص 27.